النظرية السلوكية في التعلّم

تُعدّ النظرية السلوكية من أقدم وأهم النظريات التي سعت إلى تفسير عملية التعلّم تفسيراً علمياً موضوعياً، إذ انطلقت من رفض الاعتماد على العمليات العقلية الداخلية غير القابلة للملاحظة، وركزت على السلوك الظاهر بوصفه وحدة التحليل الأساسية. وتنظر هذه النظرية إلى التعلّم على أنه تغير قابل للملاحظة والقياس في سلوك الفرد نتيجة الخبرة والتفاعل مع البيئة، بحيث يحدث هذا التغير عبر تكوين ارتباطات منتظمة بين المثيرات البيئية والاستجابات السلوكية .(Schunk, 2020) ووفق هذا التصور، فإن ما يتعلمه الفرد يمكن ملاحظته وقياسه بشكل مباشر، مما يمنح التعلّم طابعاً تجريبياً دقيقاً.

وترتكز النظرية السلوكية على افتراض أساسي مفاده أن البيئة تلعب الدور الحاسم في تشكيل السلوك، وأن التعلّم لا يُفسَّر بالعوامل الوراثية أو النضج وحدهما، بل بما يتعرض له الفرد من مثيرات وما يتلقاه من نتائج تالية لسلوكه. ويُعدّ التكرار عاملاً مركزياً في هذه العملية، حيث يؤدي تكرار اقتران المثير بالاستجابة إلى ترسيخ السلوك المتعلَّم وزيادة احتمالية ظهوره في المستقبل .(Skinner, 1953)ويُظهر هذا الطرح أن التعلّم عملية تراكمية تقوم على بناء العادات السلوكية تدريجياً.

كما تؤكد النظرية السلوكية على مبدأ التعزيز بوصفه آلية أساسية في التعلم، إذ تُعزَّز الاستجابات المرغوبة بنتائج إيجابية، مما يزيد من تكرارها، في حين تقل احتمالية تكرار السلوكيات غير المرغوبة في حال غياب التعزيز أو تقديم نتائج غير مرغوبة. ولا يُنظر إلى المتعلم في هذا الإطار بوصفه فاعلاً نشطاً في بناء المعرفة، بل ككائن يستجيب للمثيرات البيئية وفق أنماط يمكن التنبؤ بها والتحكم فيها.(Ormrod, 2020)

وتُبرز النظرية السلوكية كذلك أهمية ضبط الظروف التعليمية، حيث يُفترض أن تنظيم البيئة التعليمية وتحديد الأهداف السلوكية بدقة، مع تقديم تعزيز فوري ومناسب، يسهم في تحقيق

تعلم فعّال. وقد انعكس هذا التصور في الممارسات التربوية من خلال التركيز على التعليم المبرمج، والتدريب القائم على التكرار، والتقويم القائم على ملاحظة الأداء السلوكي (Schunk, 2020).

وعلى الرغم من الانتقادات التي وُجّهت للنظرية السلوكية بسبب إغفالها للعمليات العقلية الداخلية والانفعالات والدافعية الذاتية، فإن إسهاماتها تظل ذات قيمة علمية وتطبيقية كبيرة، خاصة في مجالات تعديل السلوك، والتعليم العلاجي، والتدخل مع الأطفال ذوي صعوبات التعلم واضطرابات اللغة، حيث تُستخدم مبادئها في بناء برامج تدريبية قائمة على التعزيز والتدرج وضبط المثيرات(Skinner, 1953 ؛ Ormrod, 2020). وبذلك، أسهمت النظرية السلوكية في إرساء أسس منهجية دقيقة لدراسة التعلّم وتطبيقه في السياقات التربوية والعلاجية.

- Ormrod, J. E. (2020). Human learning (8th ed.). Pearson Education.

-Schunk, D. H. (2020). Learning theories: An educational perspective (8th ed.). Pearson.

-Skinner, B. F. (1953). Science and human behavior. Macmillan.